المحور الثالث: عوامل ظهور علم الإجتماع:

1_ العوامل الفكرية:

تشكل مجموعة العوامل الفكرية طبيعة الآراء والاتجاهات والأفكار والأيديولوجيات والمذاهب والتيارات النقدية والراديكالية التي ظهرت في أوربا خلال عصر التنوير والمراحل الأولى من العصر الحديث، والتي لعبت دورا أساسيا في تشكيل آراء واتجاهات ونظريات علماء الاجتماع، وتصوراتهم عند دراستهم للظواهر والمشكلات الاجتماعية، كما أثرت هذه العوامل في تكوين آراء العلماء والباحثين المختصين في علم الاجتماع، وطبيعة النزاعات والمذاهب والمدارس الفكرية والأيديولوجية التي ينتمون إليها بالفعل، من ناحية أخرى لقد مهدت العوامل الفكرية إلى ظهور مجموعة من مناهج وطرق وأساليب البحث الاجتماعي التي أسهمت في دراسة النظريات السوسيولوجية وتطورها من أجل دراسة الظواهر والحياة الاجتماعية التي ظهرت مع ظهور المجتمع الصناعي الحديث.

فلقد أدت آراء فلاسفة التاريخ التي ظهرت بصورة خاصة خلال عصر الاصلاح والتنوير إلى نقد أساليب التفكير التي كانت سائدة خلال العصور الوسطى، ولاسيما اتجاه هذه الأساليب إلى الايمان بالغيبيات والتفسير اللاهوتي والميتافيزيقي الذي يبحث فيما وراء الطبيعة دون ابداء الأسباب الفعلية، كما أدت طبيعة التغيرات الاجتماعية والاقتصادية التي ظهرت في أوروبا، وظهور القوميات والدعوة إلى السيطرة وتكوين المستعمرات فيما وراء البحار عن أهمية اتباع الأساليب العلمية لتحقيق المزيد من الاكتشافات الطبيعية، ودراسة ظواهر الحياة الطبيعية بصورة أكثر واقعية، كما كان لظهور بعض المذاهب الاقتصادية، ولاسيما التي ظهرت في بريطانيا وفرنسا مثل مذهب التجاريين من تحرير العقل البشري والدعوة إلى مزيد من حرية العمل والنقل والاتصال، كما كانت لحركات الاصلاح الديني ذاتها أثر بالغ في تطوير آراء ومعتقدات رجال الدين الكنسي أنفسهم، والدعوة إلى تبنيهم لاستخدام أساليب العلم الحديثة، كما ظهرت على سبيل المثال في أفكار المذهب البروتستانتي، والعمل على إعلاء منزلة كل من العقل والحرية الفردية، والتفكير العلمي الرشيد.

كما أدت العوامل الفكرية أيضا إلى تكوين اتجاهات وايديولوجيات أكثر طموحا ورغبة في التغيير، واكتساب المزيد من الديموقراطية، والحرية الفردية، والمساواة في العمل والانتاج ورأس المال، كما كان لظهور هذه العوامل أثر بالغ في تكوين الوعي الطبقي، وظهور المعارضين والمؤيدين لكل من الطبقات البرجوازية والرأسمالية والعمالية، وبالطبع هذه العوامل لم تظهر من فراغ بقدر ما كانت للأفكار التي ظهرت خلال عصر التنوير من أصداء كثيرة في تشكيل هذا الوعي، وتغير النسق العقائدي والفكري، ونمو الاتجاهات الحديثة التي تتلاءم مع نوعية المجتمع الصناعي الحديث.

من ناحية أخرى ساهمت مجموعة العوامل الفكرية في ظهور مجموعة من المذاهب الفكرية المفسرة للظواهر الاجتماعية، والتي تعرف بمذاهب العقليين ومذاهب التجريبيين، تلك المذاهب التي ركزت وبررت أهمية استخدام العقل أو التجربة في دراسة الظواهر الطبيعية والاجتماعية في نفس الوقت، لكن اتخذ علماء الاجتماع الأوائل مواقف متعارضة ومتوافقة مع مجموعة من المذاهب عند دراستها للواقع الاجتماعي، أو لتفسيرها للظواهر والمشكلات الاجتماعية، وساهم ذلك في تطوير وتحديث النظريات السوسيولوجية الأولى، والمناهج وطرق الدراسة التي تفسر هذه النظريات، وتحاول اختبارها عند دراسة الواقع، إضافة إلى ذلك ساهمت مجموعة العوامل الفكرية في ظهور الاتجاهات الراديكالية النقدية خلال القرن التاسع عشر، أو الاتجاهات الليبرالية المحافظة، والتي لعبت كل منها دور في تحديد أنماط القضايا والمشكلات التي انطلق منها علماء الاجتماع الأوائل عند تأسيسهم علمهم الجديد خلال القرن التاسع عشر والقرن العشرين.

العوامل الاقتصادية:

شهد القرن الثامن عشر مجموعة من العوامل الاقتصادية التي مهدت لظهور علم الاجتماع وغيره من العلوم الأخرى، ومن أهم هذه العوامل قيام الثورة الصناعية في بريطانيا خلال النصف الثاني من القرن الثامن عشر، ثم ما لبثت وانتقلت بعد ذلك للعديد من الدول الأوروبية المجاورة وبقية دول العالم الحديث بعد ذلك، كما أدت بعض العوامل الاقتصادية الأخرى إلى حدوث تغيرات متعددة على طبيعة البناءات والنظم الاجتماعية والسياسية، ومن أهم هذه العوامل نمو المستعمرات، والصراع بين الدول الأوروبية من أجل تكوين ثروات اقتصادية كبيرة ترتكز على السيطرة على الموارد الطبيعية، والمواد الخام التي جاءت بها الدول الأوروبية من دول الجنوب، وكونت بموجبها ثروات اقتصادية كبيرة، وهيمنة سياسية وعسكرية بقيت موجودة في دول المستعمرات حتى البدايات الأولى من القرن الحادي والعشرين، كما يرى العديد من علماء الاجتماع المعاصرين لطبيعة هذه العوامل الاقتصادية بأنها ارتبطت في نفس الوقت ببعض الأفكار والاتجاهات، التي مهدت لظهور الثورة الصناعية نفسها، ولاسيما ظهور كتاب آدم سميث A. Smieth عن "ثورة الأمم" في بريطانيا عام 1776، والذي غير كثيرا من آراء علماء الاقتصاد والسياسة والاجتماع سواء في بريطانيا أو فرنسا أو ألمانيا وغيرهم من الدول الأوروبية، ولقد صاحبت الثورة الصناعية بعض المظاهر الاقتصادية التي لم تكن موجودة من قبل مثل طبيعة الانتاج، ورأس المال، والعمل، ونظام الملكية، والتقدم التكنولوجي، وظهور نظام المصنع الحديث، وظهور الطبقات الاجتماعية العمالية، والطبقات الرأسمالية البرجوازية، ونمو الرأسمالية من المدن إلى الريف، وظهور مشكلات التحضر، وتغير أساليب المعيشة والحياة الحديثة، كما أحدثت الثورة الصناعية أو ما ترتب على نشأة المجتمع الصناعي الحديث من تغيرات اقتصادية متعددة، أدت بدورها إلى تغير نمط البناءات والنظم الاجتماعية مثل التغير الذي طرأ على النظام العائلي أو القبلي الذي كان سائد في العصور الاقطاعية، وتغير النظام الأسري، وعلاقة الرجل بالمرأة، وظهور العديد من المشكلات المصاحبة لهذه التغيرات المتنوعة.

العوامل السياسية:

تعتبر الثورة الفرنسية التي قامت عام 1789م من أهم الأحداث السياسية التي ظهرت خلال العصر الحديث بعد الثورة الصناعية التي ظهرت في بريطانيا، وأثرت كل منهما في تأسيس علم الاجتماع وتطويره، وتركيزه على تناول العديد من المشكلات التي صاحبت كل من الثورتين (الصناعية والسياسية) كغيره من العلوم الاجتماعية.

فقيام الثورة الفرنسية لم يحدث من فراغ بقدر ما أثرت مجموعة من آراء مفكري وفلاسفة عصر التنوير من التمهيد للقيام بهذه الثورة، وتغير النسق الفكري الذي ارتبط بنظريات الحق الطبيعي، التي أعطيت لكل من رجال الدين أو أصحاب السلطة الدينية، والتي أعطيت بعد ذلك للحكام السياسيين، وكما يحلل الكثيرون لطبيعة الثورة الفرنسية أنها لم تكن ثورة سلمية بقدر ما كانت ثورة دموية، وشهدت حرب عقائدية وفكرية واجتماعية متعارضة، ولهذا ظهر علم الاجتماع كمطلب ضروري كغيره من العلوم الاجتماعية التي تهتم بدراسة المشكلات الاجتماعية والسياسية والاقتصادية التي ظهرت في المجتمع الصناعي الحديث.

عموما لقد مهدت العوامل السياسية كغيرها من العوامل الفكرية والاقتصادية لقيام علم الاجتماع وظهوره، وإلى تنوع نظريات واتجاهات وأفكار رواد هذا العلم وأيديولوجياتهم، وتفسيرهم للمشكلات والقضايا والظواهر المجتمعية، كما أسهمت مجموعة هذه العوامل على تحديث وتطوير أساليب التفكير والبحث الاجتماعي ومناهجه المختلفة، كما ساهمت هذه العوامل في ظهور ونمو مجموعة من التيارات الفكرية المتباينة عند تفسيرها لقضايا المجتمع الحديث، والتي غيرت كثير من موضوعات علم الاجتماع وميادينه ومجالاته المختلفة.

قائمة المراجع: